جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

العلاقات الانسانية والاجتماعية في الحي ودورها في الوقاية من الجريمة والانحراف

الدكتور رضا بو كراع

الرياض

1414 هـ - 1993 م

العلاقات الانسانية والاجتماعية في الحي ودورها في الوقاية من الجريمة والانحراف

الدكتور رضا بوكراع(*)

١ ـ خصائص العمران التقليدي: بنية الحي وقاية من الاجرام:

١ ـ النسيج العمراني للحي:

ان الحي يشكل وحدة فضائية متناسقة لها هويتها والمدينة التقليدية متكونة من الأحياء كوحدات مترابطة ترابطاً عضوياً، فتواجد الأحياء يساهم في بناء كيان شامل هو كيان المدينة. فالأحياء تنصهر في المدينة من دون أن تفقد خصائصها وهويتها.

والحي يستمد لحمته معتمداً على وحدة الدار المكونة له، فالدار هي الأخرى وحدة تساهم في بناء كيان الحي.

فالنسيج العمراني يتميز إذا بالاتصال والتراكم والترابط العضوي من الناحية المورفولوجية ولكنه يحتضن محتوى اجتماعياً يعتمد على قيم الحوار، والتعارف والتآنس فهو انغلاق في أزقته الملتوية ولكنه انفتاح في الداخل = انغلاق عن الغير المجهول أو المشبوه فيه وانفتاح عن الغير المعروف.

(*) أستاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية، الجمهورية التونسية.

فالمنزل التقليدي منغلق على ذاته، يعسر التكشف على داخله المحمي بالسقائف الطويلة المظلمة ولكنه ينفتح بوسط الدار على السماء ويمكن من تلاقي الأقرباء، فداخل الدار هو الآخر يضمن الخلوة والاختلاء، وفي نفس الوقت يمكن عن طريق وسط الدار المنفتح من التواصل والتفاعل مع العائلة، فالانطواء هنا وقاية لما تتميز به حياة الأسرة من حيوية وهو يضمن عن طريق السطوح الاتصال بين النساء.

ويمكن القول ان النسيج العمراني للمدينة الاسلامية يتميز بدرجات من الحماية، فالدار تحمي من الزقاق والزقاق يحمي من النهج أو الشارع، والشارع يحمي من الحي والحي يحمي من شوارع السوق المنفتحة على الخارج، وهكذا كل دائرة تصبح حمى لغيرها.

فالمدينة هي إذاً نظام يرمي إلى حماية الفرد والعائلة اعتماداً على خصائص فضائية = الزقاق، التواء الأنهج، استعمال الجدران المرتفعة العمياء، استعمال الأبواب الضيقة وتحصينها.

والنسيج العمراني التقليدي المعتمد على الجوار بين أصحاب المنازل المتصلة يوفر نقاط الالتقاء والتواصل خارج المنزل في السوق، وفي المقهى، ذلك أنه أساساً فضاء للراجلين، والراجلون الماشون يلتقون في الأنهج ويتبادلون التحية ولعل الحي لغة له علاقة بالتحية التي هي انفتاح على الغير واعتراف وتعارف به.

فالفضاء التقليدي هو فضاء معروف يشترط فيه التعارف والتعايش، ولذلك يصعب على الغريب النفاذ إليه أو التسلل لأسراره.

والفضاء التقليدي يمكن من المراقبة الاجتماعية اللاشكلية واللارسمية على امتداد الرؤية والسمع، فالحياة الاجتماعية على مرأى ومسمع من الجميع والانحراف لا يمكن ان يختفي والمجهول الذي يقترن بالجريمة يكاد يكون منعدماً، فكل له هوية: الفضاء العمراني ومحتواه الاجتماعي.

ولعل مقولة الحرم تساعد على فهم النسيج العمراني للمدينة الاسلامية، وهناك تصاعد في الفضاءات الحرمية = ففضاء الدار حرم على الغير المجهول وكذلك الزقاق ثم الشارع إلى أن يصبح الحي نفسه حرماً لمن هو أجنبي عن الحي، ومن يخترق الحرم فهو منحرف ولا بد أن يُكشف لا من طرف الشرطة بل من طرف المتعايشين في الحي.

فالحي له نوع من الحماية الذاتية يستمدها من متانة العلاقة الاجتماعية بين أفراده، وهذه المتانة تعتمد على روح الانتماء إلى الحي وعلى قيم التضامن والتكافل عند الخطر وعند الافراح والاتراح إذ أن ما يحدث في الحي يُعايش على نسق المشاركة والتفاعل لا على نسق العزلة والانطواء إذ للحي حياة اجتماعية تشمل جميع أفراده وفضاء الحي الخارجي اطار لممارسة تلك الحياة، فالحي له تجهيزاته الثقافية

والروحية للاجتماع وللاتصال وذلك لجميع الأجيال، للأطفال وللشبان وللكهول. وللحي رموزه وأبطاله وذاكرته الجماعية وله مقدساته وله أيضاً نزاعاته في الداخل ونزاعاته في الخارج. والنزاعات اختبار يقوي فيها الحي لحمته ويؤكد هويته ويجدد حيويته.

وككل مجموعة انسانية، فالحي يعرف تدرجاً اجتماعياً وتمايزاً اقتصادياً وثقافياً ولكن يكون فيه المال مقترناً بالجاه وبالاصالة والثروة وبالأخلاق والتستر، فديار الأغنياء لا تُكتشف إلا من الداخل فهي لا تعرض ثراءها على الخارج، وهناك من يبدي خراباً ظاهرياً إذ لا ينهي واجهة منزله حتى لا يسترعي الانتباه إلى ثرواته في الداخل فهي حماية من الأنظار ووقاية من أطماع المنحرفين، وهكذا فان الثروة لا تؤثر في تحديد محتوى العلاقات الاجتماعية التي تغلب عليها المسحة الدينية التي تساوي بين الأفراد أكثر من أن تفرق بينهم.

وليس الحي منغلقاً انغلاقاً كلياً على محيطه، فهو مستعد لتبني العناصر الجديدة التي تثري هياكله، فالحي المديني يستقبل النازح ويمكنه من الاندماج والتأقلم، فالحي له مِصفاة تُمكّنه من اختيار أعضائه الجدد، فهو لا يمارس إذاً ميزاً اجتماعياً يصده عن الانتفاع لكل قادم جديد، وهكذا فإن الحي يعرف التمايز الاجتماعي ولكن يعرف التقليل من حدته وهو يعرف الانغلاق ولكنه في نفس الوقت ينفتح على الريف ويهضم في حضارته كل من قدم منه إليه.

الحي يسيطر إذاً على الانحراف اعتماداً على المراقبة اللاشكلية المرتبطة بالخصائص الفضائية للنسيج العمراني وعلى ما يوفره من

فرص التعارف والاتصال وعلى ما يفرزه من مشاعر الانتماء والتضامن والتكافل والطمأنينة والقناعة.

فنسق الحي يعتمد على التحكم في كل ما من شأنه أن يولد الخوف والاحباط والحرمان والنزعة إلى السطو واختراق الحرمات. فالحي هو نظام من الحواجز النفسية والرمزية المستبطنة والتي توجه سلوك سكان الحي، والحي هو نظام من الحواجز المادية المجسمة في بنية فضائه والتي تحميه من المخاطر الخارجية.

ـ النسيج العمراني المعاصر عامل انحراف:

يمكن تعريف النسيج العمراني المعاصر بانعدام الحي فيه، أي انعدام تلك الوحدات المرتبطة عضوياً والتي على أساسها يعتمد توازن المدينة ككل. فنسيج المدينة المعاصرة متقطع، منفصل، متهرىء، ولا يمكن أن نجد فيه وحدة أو فضاء ذا هوية.

فالذي يُلاحظ عادة هو قيام بناءات شاهقة ومنعزلة بعضها عن بعض لا تربط بينها إلا طرق خاصة للسيارات. فالمؤسسات سواء أكانت مساكن أو تجهيزات عمومية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق السيارات، إذْ هي فضاءات عُزلة فردية (لضرورة استعمال السيارة) لا فضاءات اتصال والتقاء لانعدام الطرقات الخاصة بالراجلين.

والانقطاع في النسيج العمراني المعاصر يتمثل في تداول الفضاءات الفارغة والفضاءات المملوءة، فنسقه إذاً يعتمد على تداول

الفراغ والامتلاء والفضاءات الفارغة تكون عادة مهجورة ومصدر خوف وعدم اطمئنان للمترجل أو الماشي فيها.

فهذا النوع من الفضاءات تكون مُفْتَقَدة فيه الظروف الأمنية ولا يتواجد فيه إلا الهامشيون. وكثيراً ما يحمل أسماء تدل على ما توحي به هاته الأماكن من خطر يحسن تحاشيه. (حيّ Chicago مثلا)

والنسيج العمراني العصري يولد داخله فضاءات تكون فيها ظروف الانحراف والعنف كامنة وخفية ولكنها موجودة: تلك الأماكن التي تعتبر فضاءات انتقالية كمحطة قطار منعزلة، أو مداخل عمارات كبيرة ظلماء، أو طرق متسعة Autoroute يجد فيها المرء نفسه منعزلا ومُعَرَّضاً إلى الاعتداء إذا ما غادر سيارته، وهكذا فإن السيارة تكون تارة حامية وطوراً مصدراً للخطر لا من ناحية السرعة، ولكن عند الوقوف في المحطات المنعزلة وغير المحروسة.

ذلك أن عمران السيارة هو عمران اللاهوية والتّجاهل، حيث الرقابة اللارسمية تضعف وكذلك في حالات الازدحام الشديد المُكَوّنة لِلْجَمْهرة المنعزلة، فالتراكم يوفر شروط الانعزال لا الاتصال والتعارف، فتتوفر ظروف السطو والنشل والاعتداء. وذلك ما يقع في ما يسمى بمراكز المدينة والمتاجر الكبيرة المكتظة واللاهوية Anonymat في المدن الكبرى يولد أشكالا من العنف الخفيف Violence douce كتنكر بعض المحتالين في دَوْرِ أعوان البريد مثلاً لاختراق حرمات المنازل والشُّقق.

وخلافاً لما تعرفه المدينة التقليدية، فالعمران العصري تطغى عليه الوظيفية على حساب الرمزية والوظيفية والرمز الثقافي كانا منصهرين، فإذا بهما ينفصلان في فضاء اللاهوية. ويتجسم ذلك أساساً في انقسام المدينة المعاصرة إلى أحياء مركزية وأحياء مُهَمَّشة فقيرة تأوي النازحين من الريف، وهكذا تتواجد مناطق متفاوتة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً يتجاهل بعضها البعض.

فالأحياء التي تُوفر اليد العاملة تكون مجهولة من طرف الأحياء الميسورة فيتولد عن ذلك توترات اجتماعية وتصبح الاحياء الغنية مسرحاً للجريمة مصدرها أبناء الأحياء المعْوِزة. ذلك أن الأحياء الغنية تفرز ثقافة مُرَكَّزة على الفردية والأنانية وتجاهل الغير وانعدام علاقات الجوار وينعدم فيها هي الأخرى أشكال المراقبة اللاشكلية سواء كان ذلك في العمارات أو في المنازل المنفردة.

فالشارع لا يمكن من المراقبة السمعية أو المرئية فتتعرض المنازل إلى السطو والخلع من دون أي حماية.

ذلك أنه نتيجة لاشتغال المرأة في المجتمعات المعاصرة وتقلص العائلة الممتدة تعرف المنازل والشقق حالات الفراغ الكلي في اليوم الواحد، وأيام متعددة في مرحلة العطل، ومن هنا تنمو الصناعات للوسائل التقنية لتوفير الأمن ولكن كثيراً ما تكون من دون جدوى فبنية الحي المنسجم لا تُعوضه التقنيات الأمنية الفردية!

هذا التَّقوقع على الأسرة الضيقة والانغلاق على الفضاء العام يُفقّر الحياة الاجتماعية ويولد القلق الذي ينتاب بصفة خاصة الشباب، فالتجهيزات العملاقة لا يؤمها الشباب لأنها فاقدة للروح الاجتماعية فتكون مهجورة وآنذاك نشاهد ظاهرة تعاطي المخدرات في نطاق مجموعات صغيرة تنقلب في بعض الأحيان إلى عصابات سطو واعتداء.

وذلك مثال يُجسّم كيف أن الفضاء العمراني الهجين يولد الانحراف، لأنه لا يحتوي علي نسيج اجتماعي مندمج ومتوازن يحتضن جميع الأصناف العمرية من الطفولة إلى الشيخوخة، كما كان الحال في الحي التقليدي.

وما ينقص الأحياء العصرية هو فضاء الاحتفال الجماعي، فالاحتفالات تتميز بالفردية وهذا يجعل من الفضاء الخارجي فضاءً غريباً على الانسان ينقصه الاشعاع الروحي والثقافي ولا يحمل أي ذاكرة جماعية مرجعية يرتكز عليها المتساكنون لاثراء علاقتهم بالمحيط، ولذلك فإن الحي المعاصر انما هو عمران مهجور خاصة إذا ما كان مسخراً للسيارات وانعدمت فيه الطرقات المخصصة للمشاة.

الحي التقليدي	الفضاء العمراني العصري:
ـ نسيج متصل وامتلاء	ـ نسيج متقطع ومنفصل وفراغ
ـ تمايز اجتماعي والتحام	ـ تمايز اجتماعي وتفرقة
ـ الجوار، التعارف	ـ التجاهل والاغتراب

ـ المراقبة الاجتماعية اللاشكلية	المراقبة الاجتماعية الشكلية
ـ الفضاء العمراني على مرأى ومسمع من الجميع	ـ الفضاء العمراني ينعزل عن الأنظار
ـ الحياة الاجتماعية طاغية على الحياة الفردية	ـ الحياة الفردية طاغية على الحياة الاجتماعية
ـ التعامل مع الفضاء بالمشي على الأقدام مما يوفر ظروف الاتصال واللقاء	ـ التعامل مع الفضاء بالسيارة مما يوفر ظروف العزلة والانطواء
ـ التراكم كيفي يولد التعارف	ـ التراكم كمي يولد الاغتراب
ـ الفضاء له مركز اشعاع رمزي (ثقافي وديني)	ـ انعدام المركز المشع رمزياً وثقافياً ودينياً
ـ الاحتفالات تغلب عليها الصبغة الاجتماعية وتقام في الفضاء العام فتسيطر عليه وتتحكم فيه	ـ الاحتفالات تغلب عليها الصبغة الفردية وتقام في الفضاء الخاص فتترك الفضاء العام مهجوراً
ـ الذاكرة الجماعية	انعدام الذاكرة الاجتماعية
ـ مصدر طمأنينة	ـ مصدر خوف
ـ مسرح يتحكم في الانحراف	ـ مسرح يوفر ظروف الانحراف وولادة الجريمة

١١١ ـ الحي المديني والحي الريفي والانحراف:

إن المقابلة بين ما سميناه الحي التقليدي والفضاء العمراني العصري لا يمكن أن تؤدي إلى تبني النظرية التي تقيم علاقة سببية بين التحضر والاجرام، فالواقع هو أن تفكك البنية الاجتماعية وانحلالها في المدينة هو العامل المحدد للاجرام، إذ أنه يمكن أن نتصور حياً مدينياً متوازناً يولد اجراماً معتدلاً ومقبولاً.

وقد حصرنا في بحث لنا حول التحضر والاجرام الخصائص المدينية المولدة للاجرام بالصفة التالية:

* المدينة لا تولد بالضرورة الفقر بقدر ما تولد الشعور بالفقر.
* المدينة تعرف حالة أنومية أي اختلال في نظام القيم وضعف الرابطة الاجتماعية والدينية.
* المدينة تعرف انحلال الأشكال الاجتماعية التقليدية كنظام القرابة وأشكال المراقبة الاجتماعية.
* المدينة تولد حالة اللاهوية
* المدينة ترسل للفرد خطاباً مزدوجاً متناقضاً تتصارع فيه قوى السوق الخاضعة للمال وقوى الأخلاق الرادعة عن الانحراف.

ويمكن أن نأخذ مثالاً لذلك اجرام المرأة واجرام الأحداث.

(١) فجدول عدد (٢) أ يبين أنه فيما يخص النساء الريفيات فإن السرقة الموصوفة تأتي في المرتبة الرابعة وتعوضها في المرتبة الثانية قتل المولود، بينما في المدينة قتل المولود يأتي في المرتبة الثالثة ويعوضه في المرتبة الثانية السرقات الموصوفة.

الجدول عدد (١)

الاعتداء بالعنف والسرقات الموصوفة والاغتصاب باقية في طليعة الجرائم، وهذا ما يمكن ملاحظته في الجدول التالي

(١٩٧٦ ـ ١٩٨٠)

جرائم الذكور		جرائم الاناث		الأحداث	
بالمدن	بالأرياف	بالمدن	بالأرياف	بالمدن	بالأرياف
١ـ الاعتداء بالعنف	١ـ الاعتداء بالعنف	١ـ الاعتداء بالعنف	١ـ الاعتداء بالعنف	١ـ الاعتداء بالعنف	١ـ الاعتداء بالعنف
٢ـ السرقات الموصوفة	٢ـ السرقات الموصوفة	٢ـ السرقات الموصوفة	٢ـ قتل مولود	٢ـ السرقات الموصوفة	٢ـ السرقات الموصوفة
٣ـ الاغتصاب	٣ـ الاغتصاب	٣ـ قتل مولود	٣ـ الفرار بقاصرة	٣ـ الاغتصاب	٣ـ الاغتصاب
٤ـ العنف الناتج عنه موت	٤ـ الفرار بقاصرة	٤ـ القتل العمد	٤ـ السرقات الموصوفة	٤ـ القتل العمد	٤ـ الفرار باقصرة
٥ـ القتل العمد	٥ـ محاولة القتل	٥ـ العنف الناتج عنه موت	٥ـ محاولة القتل	٥ـ قتل مولود	٥ـ قتل مولود
٦ـ محاولة القتل	٦ـ القتل العمد	٦ـ محاولة القتل		٦ـ العنف الناتج عنه موت	٦ـ القتل العمد
٧ـ قتل مولود	٧ـ العنف الناتج عنه موت	٧ الفرار بقاصرة		٧ـ محاولة القتل	٧ـ العنف الناتج عنه موت
٨ـ الفرار بقاصرة	٨ـ قتل مولود			٨ـ الفرار بقاصرة	٨ـ محاولة القتل

نوعية العلاقة التي تربط بين الأحداث المنحرفين (١٩٨٠)

عدد (٨)

	العدد	النسبة المئوية
أفراد من نفس الحي	٣٩	٧٨
الأطفال من الأقارب	٧	١٤
الأطفال من زملاء الدراسة	٢	٤
الأطفال من زملاء العمل	١	٢
الأطفال من زملاء العمل	١	٢
المجمـــوع	٥٠	٪١٠٠

مكـان إقامة الأفراد المنحرفين

عدد (١٠)

	العدد	النسبة المئوية
حي شعبي	٤٨	٥٥,١
حي عصري	١١	١٢,٦
الأرياف	١١	١٢,٦
الوكالات[١]	٩	١٠,٣
حي قديم	٨	٩,١
المجمـــوع	٨٧	٪١٠٠

١ـ مساكن قديمة في المدينة العتيقة يسكن فيها متجاورين عدد من العائلات.

وهذا يدل على أن المراقبة الاجتماعية التي تستهدف لها المرأة في الريف أشد مما عليه في المدينة، ومن هنا أهمية جريمة قتل المولود بينما السرقة الموصوفة هي الأهم في المدينة نتيجة لوهون الرقابة الاجتماعية ولأهمية المغريات في المحيط الاجتماعي الحضري.

٢ ـ أما فيما يخص اجرام الأحداث فإن جدول عدد (١٠) يبين أن الأحداث المنحرفين ينتمون إلى أحياء شعبية في نسبة ١,٥٥٪. وجدول عدد (٨) يظهر أن الأحياء تكون إطاراً لتكوين شبكات الانحراف إذ أن نسبة ٧٨٪ من الأحداث المنحرفين ينتمون إلى مجموعات سكنية مشتركة.

١ـ مثال الاجرام المديني «شبيح» ومثال الاجرام الريفي «سفاح نابل»:

١ ـ «شبيح» بين الأسطورة والواقع:

ظهر في أوائل الثمانينات في تونس وفي حي المنزه بالذات (وهو حي يعتبر من الأحياء الثرية التي ظهرت في شمال العاصمة بعد الاستقلال والتي تسكنها الطبقات العليا من المجتمع التونسي) نوع من السطو على المنازل اتسم بالتعدد وبالامتداد وباسلوب غريب إذ السارق يدخل المنازل ليلا، ويخترق الغرف إلى أن يصل إلى غرفة النوم ويستولي على المجوهرات والمال ثم

يتسلل خارجاً وفي بعض الاحيان يتناول من المطبخ شيئاً من الطعام ثم ينصرف آمناً. وتتوالى العملية لتشمل عدداً من الفلّات في الحي الواحد.

وقد ولد ذلك في السكان فزعاً شديداً إذ عجزت قوى الأمن في الأشهر الأولى على القاء القبض على المحتال، وقد استولى الرعب على العائلات خاصة وأن الخيال الجماعي للحي أعطى اسماً لهذا الاحتمال فسماه «شبيح»، ذلك أنه كالشبح يتسلل إلى الديار ويخرج منها بكل سهولة ولا يتعرض إلى أي حاجز.

وأصبح شبيح هذا مهيمناً على حياة الناس مدة من الزمن ولم يعرف هل أنه شخص واحد أو عصابة منظمة، وقد أدى ذلك بالناس إلى تنظيم دفاع ذاتي بالحراسة الليلية المشتركة.

وقد أثبت مثال شبيح مدى هشاشة الحي العصري من الناحية المورفولوجية ومن ناحية اجتماعية المورفولوجيا: فإن المنازل لا تتوفر فيها الشروط الأمنية الدنيا: فهي منفتحة على الخارج، وهي كثيرة الفتحات يسهل اختراقها عن طريق البستان الذي يحيط بها. أما اجتماعياً فانعدام اللحمة والتعارف بين المتساكنين جعلهم عاجزين على القيام بحراسة جماعية آمنة «فشبيح» يصول ويجول ليلاً ولا يتعرض إلى أية مراقبة مرئية أو سمعية، ولا يمكن لأحد في عزلة أن يتصدى له لأنه يتعرض للعنف.

وقد بين مثال (شبيح) أن الأمن لا يمكن أن يُوكل للشرطة وحدها، بل لابد أن يَعتمد على تضامن وتحالف المتساكنين.

وفي سلوك (شبيح) نلمس شيئاً من التحدي، فهو يتحدى الطبقة الثرية المحظوظة ويتحدى في نفس الوقت الأجهزة الأمنية، وكأنه يجسد صراعاً طبقياً خفياً.

وهكذا يصبح شبيح بطلاً في المخيلة الشعبية، لأنه يكشف على انقسام المجتمع إلى طبقات متصارعة ويظهر مدى وهن نسيجها العمراني والاجتماعي وعجز المراقبة الشكلية المتمثلة في الأجهزة الرسمية على التصدي لها.

وليس من الغريب أن يظهر شبيح على أمواج الأثير (FM) إبان ثورة الخبز (١٩٨٣) في تونس، وكان خطابه الموجه إلى فرق الشرطة المتصدية للمظاهرات الشعبية يستفزها ويدعوها للعصيان والثورة على النظام البورقيبي آنذاك، فشبيح يجسم بحق أزمة الحي العصري في المدينة الجديدة.

٢ ـ سفاح (نَابل):

لقد اجتاحت ولاية نابل الشمالية موجة من الرعب والفزع بعد أن تعددت الاختطافات للأطفال، وقد دامت هاته الظاهرة مدة طويلة تقارب الست سنوات، إلى أن ألقي القبض على صاحب الفعلة الذي لقب آنذاك بسفاح (نابل)

وقد تبين بعد البحث أن سفاح (نابل) هذا كان يعمد إلى الأطفال الصغار يستدرجهم ويغريهم ثم يحملهم على دراجته النارية وينعزل بهم في البساتين، ثم يعتدي عليهم بالفاحشة ثم يقتلهم، وبعد التمثيل بهم يدفنهم إما في منزله أو في الأماكن النائية. وقد وصل عدد ضحاياه إلى أكثر من العشرة.

والملاحظ أن السفاح يتعرض للأطفال الذين يعرضون بضاعتهم للبيع على قارعة الطريق، وذلك لسائقي السيارات في الطرق البعيدة عن العمران. ويتعرض للأطال الذين يلعبون في أماكن بعيدة عن القرية، وهو أيضاً يتعرض للشبان النازحين المنعزلين عن عائلاتهم المشتغلين في الفنادق السياحية يستدرجهم ويفاحشهم ثم يقتلهم ولا أحد يسأل عنهم.

والملاحظ أن ضحايا السفاح من أبناء المعوزين الفقراء الذين فقدوا مراقبتهم على أطفالهم ومنهم من يستغل أطفاله للاشتغال أو الاسترزاق، وضحايا السفاح من مجهولي الهوية، وقد تعرض أيضاً إلى أقربائه، ولكن لم يتفطن إليه أحد نتيجة لضعف المراقبة الاجتماعية وانحلال العلاقات الاجتماعية الواقية.

فسلوكه الغريب لم يسترع انتباه محيطه الاجتماعي، والرجل مُطَلَّق ويرتزق من المتاجرة في المحاصيل الفلاحية للبساتين، وهو يتحرك في منطقة سياحية تعرف الوهن الأخلاقي وتدني المراقبة اللاشكلية.

ولعل فقر العائلات الفاقدة لأبنائها لا يعطي لها الوزن الكافي لتعبئة الأجهزة الأمنية لمطاردة السفاح فبقي ينشط اجرامياً من دون خطر.

وقد ولّد جواً من الارهاب والفزع دفع بالأسر إلى مضاعفة مراقبة أبنائها والانتباه إلى ما يجري في البيئة الثالثة، أي الشارع الذي يُهَمَّل فيه الأطفال من دون تأطير.

وينفضح أمره عندما يتصدى لابن موظف في البنك، وأصبح هكذا يقوم بفعلته لارضاء بعض من يريدون الثأر من أعدائهم على حساب الأطفال، فتَعمُّدُهُ إلى أصناف اجتماعية مرتفعة في السلم وتعامله كمجرم محترف ينفذ عمليات ثأرية وارتفاع درجة الفزع عند الناس مما أدى إلى تشديد المراقبة، تلك هي العوامل التي مكنت من القاء القبض عليه.

فضعف المراقبة اللاشكلية تسبب في ولادة الجريمة وتواصلها مدة طويلة

واسترجاع واشتداد المراقبة اللاشكلية هو الذي مكن من كشفها والقضاء عليها فسفاح (نابل) يجسم هو الآخر أزمة الحي العصري في الريف المتصدع نتيجة للتغير الاجتماعي السريع.

ـ شروط الوقاية من الاجرام:

يمكن أن نحصر شروط الوقاية من الاجرام في علاقاتها ببنية الحي في العناصر الآتية:

- التكافل والتضامن للتحديد من مشاعر الاحباط والحرمان، وذلك بالتنقيص من التظاهر والتقليل من الاستفزاز.
- التعارف وتحسين علاقات الجوار.
- انعاش الجمعيات المهتمة بالحياة الاجتماعية والعامة ونبذ العزلة والانطواء.
- انعاش الرموز الثقافية والدينية في الاحياء الجديدة.
- الاهتمام بمراكز الالتقاء والاتصال.
- توفير وسائل الترفيه والاتصال للشباب في الاحياء الجديدة وتكوين شبكات تعارف وتواصل بينهم.
- الاهتمام في التخطيط العمراني بضرورة الاتصال والتعارف وذلك ببناء فضاءات عمرانية تنصهر فيها الوظيفة بالرمز والمادة بالروحانيات.
- انعاش مفهوم الفضاء الحَرَم وتعبئة اليقظة الجماعية لحمايته.

المراجـــع

J. Chelhod: Les structures de sacré chez les Arabes. Paris C.P. Maisonneuse et la rose. 1965.

J. Remy I. Voyé: Ville ordre et violence. P.U.F. 1981.

Venter J.H.: Urbaniza tion and industrialization as criminogenic factors in the Republic of South Africa (International Review of Criminal Policy. Dec. 1960).

A. Bouhdiba: Criminalité changement sociaux en Tunesei, Tunis, CERES, 1956.

R. Boukraa: Espaces urbains culture et violence urbanization de la ville et émergence de la violence in Cashiers de Tunesei, Tome XXXIV / 1986, ñ 137-138.